دولـــة ليبيـــا
جامعة الزاوية
كلية التربية الزاوية
قسم علم الاجتماع

واقع السوسيولوجيا في ليبيا والوطن العربي

رؤيه نقديه بين الواقع والمأمول

اعداد الدكتور
نوري محمد احمد شقلابو
استاذ مشارك بعلم الاجتماع

2018م

توطئـــــة

ظهر علم الاجتماع كما هو حاليا بصياغته العلمية كرد علمي على وضعية المجتمعات الأوروبية ، فالعالم كان يتحول إلى كل متكامل ومترابط أكثر فأكثر في ظل العولمة في حين كانت حياة الأفراد تتحول الى الفردية والانعزالية بسبب دخول المجتمعات في مرحلة جديدة مؤداها التغير الصناعي والاقتصادي الذي ظهر ابان القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . مما دفع علماء الاجتماع الأوائل إلى محاولة فهم هذه التحولات التي طرأت على البني الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الغربي كما نرى في ثنايا هذا البحث ، وأصبح هذا العلم الوحيد المكلف بمعرفة ودراسة أحوال الواقع المجتمعي انطلاقا من الممارسات والأفعال التي يؤديها الأفراد والجماعات في سلوكهم وتصرفاتهم اليومية والمتغيرة ، وبالفعل تمكن هذا المولود الجديد (علم الاجتماع . Sociology) من فهم الواقع المجتمعي الذي ولد فيه انذاك .. الا ان هذا العلم لم يعرف هوية واحده فانتشر وعرف في اقطاب اخرى من العالم اخص بالذكر والذي لا يستثنى منها العالم العربي وقد نهل منه مختصيه والمهتمين به والتي فجرته حركه الترجمة لتترجم الكثير من هذا العلم واصبحت مؤلفاته تدرس بأقسام سمية بأقسام علم الاجتماع بالجامعات العربية وغير العربية ، ناهيك على ما قدمه علماء العرب والتي يأتي على راسهم العالم والمفكر "ابن خلدون" الذي شخص المجتمع في حركته الديناميكية والاستاتيكية وقدم هذا العلم وصفا سوسيولوجياً متكاملا في فكرأ اصبح يدرس حتى في الجامعات التى ولد فيه هذا العلم ..

ففي هذه الورقة المتواضعة التي بين أيدينا سوف نتطرق فيها الى معرفة كيف نشأة هذا العلم ومكانته بين العلوم لتوضيح العوامل المهمة التى كانت وراء حاجة وجود هذا العلم للوجود .. ثم في المحور الثاني كهدف آخر نتطرق من خلاله إلى معرفة مدى واقعية هذا العلم في الوطن العربي من حيث نشأته بهذه البيئة ومدى مساهمة مؤسسيه الاوائل في تأسيسه. وفي الجزئية الاخيره نتعرف على واقع السوسيولجيا في ليبيا . ونختم بخلاصه لهذه الورقة بعدد من استخلاصات استنتاجية

وتوصيات ، آملاً أن تكون خدمة لهذا العلم من جهة ومن جهة اخرى خدمة للمشتغلين به في اهدافه التي جعل من اجلها هذا العلم متبعين المنهج الاستنباطي في منهجيه هذا البحث لما تناوله هذا البحث من محاور وموضوعات .

الجزء الاول

نشأة علم الاجتماع ومكانته بين العلوم

1. نشأة علم الاجتماع :

إن الحديث عن نشأة السيسيولوجيا والتي لا تخرج عن السياق التقليدي فيما كتب من قبل إذ يعيد ذلك إلى الجذور التاريخية لهذا العلم ، فمن المعروف أن هذا العلم تبلور وتطور إثر ظروف خاصة بالمجتمعات الغربية والأوربية بشكل خاص ، حينها نشأ كعلم جديد ضمن الحقل العلمي و المعرفي للعلوم الإنسانية . إلا أن هذه النشأة يمكن اعتبارها إعادة إحياء لفكر اجتماعي سمي في تلك الفترة بين القرنين 18 و 19 للميلاد بعلم الاجتماع . إلا أن أصوله التاريخيه في الحقيقة تعود في الواقع إلى الحضارات القديمة كحضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ومرورا بالحضارة الإغريقية والرومانية ثم الحضارة الإسلامية وأخيرا ظهر في الحضارة الأوروبية كما نرى الان ;التي لا زالت حضارة فاعلة وديناميكية في تطوير الفكر الاجتماعي ومجالاته وكيفية بحث المشكلات الاجتماعية التي تواجه الإنسان والمجتمع (1) .

يعتبر طرح الفكر الاجتماعي هو طرح قديم ،حيث تناوله الفلاسفة والمفكرين آنذاك المتمثل في التجمعات البشرية والحياة الاجتماعية للإنسان ، لتتضح رؤية ومعالم هذا الفكر أكثر في الحضارة الإسلامية التي يتفق اغلب الباحثين على أن علم الاجتماع ظهر لأول مرة في مؤلفات العلامة والمؤرخ والاجتماعي "ابن خلدون" ، في وقت كانت أوروبا تعيش في وقت عصور الظلام الفكري والاجتماعي الدامس ، ولكن هذا العلم لم تتح له الفرصة ليصبح أحد العلوم المعترف بها علميا إلا في وقت ليس ببعيد ، وهذا ما أعطى الدفع والبداية للفكر الأوروبي كي ينطلق في دراساته للمجتمع ابتداءً من النقطة الانتهاء التي وصلت لها الحضارات السابقة . فكان ظهور علم الاجتماع وليد ظروف وعوامل مختلفة خصت بها أوروبا والعالم الغربي في تلك الآونة أي في فترة القرن 18 م، هذه العوامل التي كان لها نصيب الأسد تقريباً كما يقولون في خلق العلم الوليد في خضم أحداث غيرت واقع العالم الغربي وخاصة أوروبا التي هي مسقط رأس هذا العلم ومهده ، نظرا لظروف التاريخية التى مرت بها آنذاك ، فلقد لاقى هذا العلم في ظهوره ونشأته وتطوره صعوبات عديدة خاصة انه ولد في كنف الفكر الفلسفي ، إلى أن أصبح علما له موضوعاته المحددة ومفاهيمه ونظرياته ومناهجه وقوانينه الخاصة التي تتحكم في تفسير الظواهر الاجتماعية التنبؤ بوجودها، ومنه انبثق هذا العلم كضرورة لتوفر عدد من العوامل منها

---

(1) . احسان محمد احسان واخرون ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار وائل لنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط الاولى 2005 ، ص 89

العوامل السياسية كظهور الثورات والتي كان أهمها على الإطلاق الثورة الفرنسية 1789م التي كانت مهدت لبزوغ علم جديد وهو علم الاجتماع . فهي لم تكن حدث سياسي فقط وإنما تجاوزت ذلك الى العامل الاقتصادي والاجتماعي وتمثل الاخير في تغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية والمطالبة بحقوق الانسان وحقوق المواطنة وأقامت الديموقراطية وفي ممارسة الشعوب حقوقها السياسية المشروعة ([1]).

كذلك كان **للعوامل الاقتصادية** التي أدت إلى نشوء وظهور هذا العلم الثورة الصناعية في واربا وتغير الأوضاع المهنية وظهور طبقات أخرى بالمجتمع كالطبقة البرجوازية وطبقة البلوريتاريا . يقول : **اوغست كونت** " في هذا الصدد ان المجتمع الصناعي ليس في حاجة لثورة جديدة بقدر حاجته لعلم جديد ، علم يكون حلقة الوصل بين المؤسسات والدولة ، والكنيسة والمجتمع .

أما عن العوامل الأخرى التي أدت إلى ظهور هذا العلم والتي انبثقت في تلك المرحلة أيضاً فهي **العوامل الفكرية** أي ظهور مجموعة من الآراء والأفكار والمعتقدات حول كل ما هو ما تعلق بتحرر الفكر وتحرر الفرد ، فبعد القضاء على سيطرة الكنيسة وتحكمها في عقول الأفراد التي ***روجت لفكرة أن الفرد لا يمكنه التفكير*** ، ***الكنيسة تفكر مكانه*** ، ورفض كل فكر يعارض مصالحها أي يعارض أفكار الكنيسة ، ظهرت طائفة من الثائرين على النظام القائم تشكلت في المفكرين والعلماء الذين تعرض الكثير منهم في تلك الفترة للقتل والحرق شأن العالم **غاليلي غاليليو** الذي أتى بفكر يناهض توجهات الكنيسة . فلم يكن الانسلاخ عن الفكر الكنيسي بالأمر السهل وهذا لم يحدث إلا بظهور " الآراء والاتجاهات والأفكار والإيديولوجيات والمذاهب والتيارات النقدية والراديكالية التي ظهرت في أوروبا خلال عصر التنوير والمراحل الأولى من العصر الحديث ، والتي لعبت دوراً أساسياً في تشكيل الآراء واتجاهات ونظريات علماء الاجتماع وتصورات عند دراستهم للظواهر والمشكلات الاجتماعية التى مر بها المجتمع ، وتخلل هذه الفترة ظهور أفكار واتجاهات علماء منهم يعتبرون من أهم مفكري عصر الإصلاح والتنوير نذكر منهم :**توماس هوبز** ، **فيكو** ،منتسكيو ....وغيرهم كثير ليس على سبيل الحصر ([2]) .

أن هذه العوامل الثلاث المذكورة انفاً الثورة الفرنسية، الثورة الصناعية و الثورة الفكرية ، هي اهم العوامل تقريباً التي أدت إلى ظهور علم الاجتماع في فترة تميزت بالانتقال من حالة إلى أخرى ، إلا أنه لا يمكن أن ننسى أن علم الاجتماع نشأ على يد أعظم المفكرين السوسيولوجين

---

[1] ـ عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع النشأة والتطور ، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندريه ، 2003 ، ص 38

[2] ـ محمد ابراهيم عبد المجيد ، علم الاجتماع النشأة والتطور ، المشكلات الاجتماعيه ، مؤسسه رؤيه للطباعه والنشر والتوزيع ، الاسكندريه ، ط 1 2007 ص 12

والذين بذلوا جهدا لتأسيسه وتطويره بالرغم من كونه علم جديد إلا أن صداه كان أكبر من ذلك بكثير.

2 . مكانة هذا العلم بين العلوم :

إن السيسيولوجيا تماثل العلوم الطبيعية الى حد ما من ناحية أنه يقوم هذا العلم بالاكتشاف والتفسير وحتى التنبؤ ، أي يكشف الحقائق الجوهرية للسلوك الاجتماعي والارتباط بين هذه الحقائق ثم يقوم بتفسيرها " ([1]). ومحاوله وضعها في اطار القوانين كما في العلوم الطبيعية . في بداية ظهور علم الاجتماع ،رأى **(كونت)** وانا اويد هذا العالم أن علم الاجتماع هو تاج العلوم وليس غريب في ذلك انه علم دراسة الانسان الذي كرمه الله في العديد من آياته ، رغم حداثه هذا العلم فهو يتزعم العلوم ، حيث يرى **كونت** أن علم الاجتماع الذي يدرس الظواهر الأكثر تعقيدا هو أخر العلوم للوصول إلى الفلسفة الوضعية ، وذلك أمر طبيعي لا يمكن أن يكون عكس ذلك، إن "**كونت**" يؤكد " أننا لا نرى لماذا لا يكون للظواهر التي تنشأ بسبب نمو أحد الأنواع الاجتماعية قوانين تخضع لها كقوانين الظواهر الأخرى، أو لماذا لا يمكن الكشف عن هذه القوانين بطريقة الملاحظة ، كما هو الحال في العلوم الأخرى.... سوف أجعل الناس يشعرون عن طريق الواقع نفسه أن هناك قوانين لنمو النوع الإنساني تبلغ في دقتها قانون الجاذبية الذي يخضع له سقوط الحجر . وبعد هذا الكلام ليس هناك كلام يقال عن هذا العلم في مكانته بين العلوم .

[1] ـ معن خليل العمر واخرون ، المدخل لعلم الاجتماع ، دار الشروق لنشر والتوزيع ، 2009 ص27

الجزء الثاني

لمحة عن علم السيسيولوجيا في الوطن العربي

1 – بدايته:

لقد ظهرت أفكار هذا العلم في الحضارات الشرقية القديمة كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارة الهندية والصينية وفي طوائف من الحكماء والفلاسفة والمشرعين والمصلحين والمفكرين الذين عالجوا موضوعات الفلسفة والفكر الاجتماعي معالجة لا تقل أهمية عن المعالجة اليونانية ([1]). ونتدرج ذلك في :

حضارة وادي النيل: تعتبر هذه الحضارة من أكثر الحضارات التي زخرت بألوان التفكير الاجتماعي، فكان المصريون القدامى بالخصوص لديهم معتقدات دينية ومعرفة التي أثبتت عن طريق دفن موتاهم أن لهم حياة اجتماعية واقتصادية تميزهم عن غيرهم ، كذلك امتاز المصريون بالحنكة السياسية والقدرة على تسير إدارة بلادهم الواسعة الأرجاء ،اذ أهتم المصريون كثيرا بالطبقية فتكونت لديهم طبقتين الطبقة المقدسة وتشمل الفرعون وأعضاء الأسرة المالكة ، وطبقة العامة وتضم الزراعيين التجار الفلاحين وجنود .

حضارة وادي الرافدين : وفيها نجد العراق القديم مثلا فلسفات وشرائع وحكم اجتماعية ووصايا وقوانين التي تنظم شؤون الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت، فكانت شرائع" حمو رابي" التي رسم فيها واجبات وحقوق الملوك والشعوب ،وواجبات الشعوب اتجاه الملك والدولة ، إضافة إلى التكلم العدالة والمساواة التي يجب أن تكون في المجتمع ،إضافة إلى التقسيم الاجتماعي ،حيث قسم الشعب إلى طبقات مختلفة التخصص وجاء أيضا في شرائع" حمو رابي "مواثيق الاجتماعية للزواج وشؤون الأسرة.

الحضارة الإسلامية : يعتبر الإسلام دين ونظام اجتماعي يحدد للأفراد طرق عيشهم وكسبهم، فوضع الدين الإسلامي تشريعات دقيقة ومنظمة كنظم الزواج والطلاق ، المواريث والضوابط الاجتماعية والعدالة الاجتماعية . وقد حث الإسلام على التفكير والاجتهاد في طلب العلم . وانشغل المفكرون الأوائل في عهد الخلفاء الراشدين بجمع القران الكريم وتفسيره ورواية الحديث وجمعة وتبويبه وبالمسائل الفقهية. أما في العصر الأموي فزاد الاهتمام بالدراسات والموضوعات الفقهية.وفي العصر العباسي كانت محاولات الفكر واسعة النطاق وذلك لاتساع حركة النقل وزيادة العناية بكل روافد الثقافة ([2]) . بالمقابل ظهرت العديد من العلوم وازدانت الحضارة

[1] ـ احسان محمد احسان واخرون ، مرجع سابق ص90

[2] ـ المرجع السابق ص100

الإسلامية بوفرة العلوم، فاختلفت عن باقي المناطق البعيدة ، فكانت منبع ومنهل ومكان تلقين المعارف وراح طالبوا العلم يتنقلون بين الشام وبغداد وبلاد الأندلس للتعلم ، فكان أغلب الطلاب أجانب من أفرنجة وروم وفرس وحتى من شرق القارة الأسيوية ، في وقت كانت أوروبا وباقي العالم الغربي يعيش عصر الظلام والجهل. فتنوعت الدراسات والأبحاث التي شملت الحياة السياسية والدينية والاجتماعية ، فقدم المفكرون العرب دراسات مختلطة مابين الفلسفة والدين وكان الفارابي" من بين الذين اهتموا بالجانب الفلسفي الديني،إلا أعمال" ابن خلدون"فكانت أكثر دقة وموضوعية لتصوير الواقع العربي المجتمعي أي اهتم أكثر بالجانب الاجتماعي للأفراد ،"وكان هذا الكاتب العربي مهتما بفروع دراسية كثيرة منها الأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والذي اولى له اهتمام كبير وسماه بعلم العمران البشري والذي قال بأنه العلم الذي يدرس ما استطاع الإنسان أن ينجزه في البيئة الحضرية من معالم المدينة والتراث الحضاري وباقي الفنون الحياتية التي سهلت أمور الحياة للإنسان ([1]) . ويعد ابن خلدون "أول من نادى بضرورة إنشاء"علم العمران البشري" وهذا العمران يعني لديه الاجتماع الإنساني وظواهره ، ويتم صياغة موضوع هذا العلم من خلال قوله : أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر عنه الحكماء بقولهم أن الإنسان مدني بالطبع أي بالفطرة ، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو المعني بالعمران ([2]) . فبعد كتابات " ابن خلدون " و كأنه جف حبر قلم العرب والمسلمين، وبسقوط الحضارة الإسلامية ،توقفت الكتابات التي تهم بالإنسان والمجتمع إلى غاية عصر النهضة الذي ظهرت فيه أفكار" رفاعه الطهطاوي "،" الأفغاني "و"ابن باديس"، و"مالك بن نبي "وغيرهم ممن كتبوا حول مجتمعاتهم وواقعهم الاجتماعي وما يتخلله من أحداث ...

2 . واقع السيسيولوجيا بالمجتمع العربي:

السؤال الذي يطرح نفسه في هذه المساحة الصغيرة من البحث هل هناك فغلا سيسيولوجيا عربيه تعالج مشكلات الوطن العربي ؟؟ وهل لها مرتكزاتها العلمية التى ترتكز عليها في البحث ؟؟ تعتبر نشأة وتطور علم الاجتماع في العالم العربي جاء " نتيجة لخضوع أجزاء كثيرة من الوطن العربي للاستعمار المباشر لفترة طويلة فقد صمم خلالها الاستعمار كثيرا من اطر التعليم والثقافة بل في بعض الأقطار كان الاستعمار هو الذي أوجد المؤسسات الأكاديمية والتربوية في شكلها النظامي الحديث ([3]) ,

[1] ـ نفس المرجع السابق ، ص 101

[2] ـ محمد عبد الباسط حسن ، اتجاهات نظرية علم الاجتماع الكويت :عالم المعرفة 1983 ص 55

[3] ـ حيدر ابراهيم علي ، علم اجتماع الصراع الأيديولوجي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 78 ص 14

والواقع إن وضع الدراسات والبحوث الاجتماعية ووضع علماء الاجتماع العرب على وجه الخصوص، هو امتداد لوضع الجامعة الأكاديمية في الوطن العربي عموماً، وذلك في جل التخصّصات الإنسانية والعلمية، والتي يستثنى منها التخصّصات المهنيّة كالطب والهندسة والمحاماة ، وكانت الدراسات التي تناولت واقع علم الاجتماع في العالم العربي كدليل لوجود بحث اجتماعي متواضع ، فكان المقال الذي كتبه" **حسن الساعاتي**" حول دراسة فكرية لعلم الاجتماع في مصر عام 1964 ،إضافة إلى مقال" **أياد القزاز** " تحت عنوان ملاحظات حول أوضاع علم الاجتماع بالعراق عام 1970 ،إضافة إلى دراسة"**ناديا أبو زهرة**" وموضوعها "الكتابات الأنثروبولوجية العربية بالكويت والتقاليد المدرسية العربية"، وهناك دراسات أجراها باحثون أجانب في معرض دراسات لبعض حالات علم الاجتماع في واحد من الأقطار العربية منها دراسة " **ف . تونج**" علم الاجتماع في بلد نامي اتجاهات وخصائص علم الاجتماع ([1]) . في الجمهورية العربية المتحدة عام1971 م كانت كلها بدايات متواضعة لهذا العلم .

في الحقيقة ان الفكر السيسيولوجيا العربي هو جهود متفرقة نشرت باللغة العربية والأجنبية حول الملامح العامة لعلم الاجتماع في أقطار مختلفة من الوطن العربي، وهذه الجهود العلمية تميزت بالبساطة ولم ترقى إلى تأسيس نظري سيسيولوجي في هذا الوطن لأنها لم تصل إلى مرحلة التنظير لمختلف الظواهر الاجتماعية المنتشرة بالمجتمع العربي ومعالجة المشاكل الأساسية في المجتمع ؛ إلا ما نقل عن الغرب من نظريات ومناهج أو عن طريق الدراسة في بلدان أجنبية أو عن طريق التبعية والتقليد، ايضاً الكثير من الأعمال كانت عبارة عن ترجمات مختلفة لما كتبه السيسيولوجيون الاوربيين أمثال" **دوركايم** ، ماكس فيبر، **سيمون** " وكانت البداية الأولى للإنتاج الفكري هم متخصصون في الفلسفة والاقتصاد وليس بهذا العلم ، مثل محاولة" **قاسم أمين** "كمحاولة لدراسة وضعية المرأة في المجتمع المصري وقضاياها وتحريرها من كل ما يقيد حريتها الاجتماعية، وهذا يعود إلى الأوضاع السيئة اجتماعياُ وسياسياً التي كان يعيشها المجتمع المصري، وتكلم **محمد عمر** في كتابه" **حاضر المصريين وسر تأخرهم** "عن التركيب الطبقي للمجتمع المصري لأول مرة في تلك الفترة . وقام **عبد الجليل الطاهر** بدراسة حول المجتمع الغربي في شيكاغو عام 1962 ودرس **شهاب حاتم** الحركة الوطنية في العراق من منظور نفسي اجتماعي 1962م ثم تأتي درا سات كل من عاطف غيث، محمد الجوهري، سمير نعيم، نساء الخولي من بين الد راسات الاجتماعية المعاصرة التي تناولت دراسة البناء الاجتماعي كبنية الأسرة والمدرسة وكانت هذه الأعمال من أهم الانتاجات الفكرية على مستوى علم الاجتماع في الوطن العربي بالإضافة الى ما نشره **عبد الجبار العريم** بحث علمي 1962م

[1] ـ عبد الباسط عبد المعطي ، مرجع سابق ص 164

بعنوان مشكلة المجتمع العربي المعاصر بحث تحليلي للمشاكل الاجتماعية الحضارية والتي يعد من أهم البحوث في الوطن العربي ([1]). ويعد ايضاً **إبراهيم الحيدري** أحد أهم المفكرين السوسيولوجين العراقيين و الذين قدموا صورة حسنة عن الكفاءات العراقية في الغرب ، وقد اتضح ذلك من خلال الإنجازات العديدة التي قدمها من بينها نظرية حق الأم الطبيعي وفلسفة التاريخ عند **باخوفن** و العولمة والنظام الدولي. وفي سوريا والأردن نجد مجموعة من الباحثين السوسيولوجيين الذين أسهموا في ظهور علم الاجتماع وبروزه في الوطن العربي، حيث تعد انجازات السوري **صفوح الأخرس** من أكثر الأعمال اعتمادا من حيث التحليل البنيوي، حيث تناول في كتاباته العديد من المواضيع الاجتماعية أهمها وابرزها الأسرة والقبيلة , ولضيق المقام لم نتطرق الى جهود علماء المغرب العربي في تطور هذا العلم ..

بالرغم من الجهود سالفة الذكر التى لا ننكرها كمتخصصين بهذا المجال الا إن ما نلاحظه بصورة عامة على واقع الفكر السيسيولوجيا الذي يختص به علم الاجتماع في الوطن العربي أنه يفتقر إلى آليات بروزه كعلم في حد ذاته، رغم أن الوطن العربي يحمل طاقات إبداعية تتمثل في مختلف الأعمال النقدية البناءة التي تصف وتحلل المشاكل والظواهر الاجتماعية.

وما يلاحظ كذلك أن الكثير من الباحثين العرب يركزون في أفكارهم الخاصة بمختلف العلوم الاجتماعية على الفكر الأوروبي وهنا تتشكل أزمة علم الاجتماع العربي لأن الفكر السوسيولوجي مرتبط بالبيئة واحتمال أن تكون أزمة علم الاجتماع مرتبطة بعلم الاجتماع نفسه ، لأن هذا العلم الذي نشأ في بيئة غربية بحتة تتمتع بثقافة وعادات خاصة بها حتى في طرق عيشها ومشاكلها خاصة ولهذا تظهر معوقات تطبيقية على مجتمعاتنا العربية التي لها مميزاتها وخصائصها التى تختلف بها عن باقي المجتمعات، وفي هذا السياق يؤكد أحد الباحثين السوسيولوجيين العرب وهو من المختصين في ميدان السيسيولوجيا العربية وانا اجاريه في ذلك (الباحثين يكرسون أوقات ثمينة وجهودا طائلة لإثبات نظريات واتجاهات غربية ولدت ونشأت في مجتمعات أخرى غريبه وفي ظروف مغايرة فنجدهم يتفننون في تدقيق بعض المصطلحات ويسلطونها من أعلى على الأوضاع الاجتماعية العربية، ومهما كانت علمية تلك المفاهيم تبقى من صنع المجتمع الغربي وأن استخدامها بسم المعرفة العلمية غير وارد لأنها لم تأخذ بالحسبان كل الأوضاع الممكنة إنسانيا ولكن البعض منها فقط، فننقلها بتلك السرعة والبساطة إلى المجتمع العربي ,وبالتالي تكون حجر عثرة في مسيرة البحوث الاجتماعية العربية ، والتي تمنع من الوصول إلى فض النزاع القائم بين علم الاجتماع في المجتمعات الغربية وبين علم الاجتماع في المجتمعات العربية

[1] ـ احسان محمد احسان ،مرجع سابق ص182

وهذا لما تحمله هذه المجتمعات من خصوصية، فلماذا لا يمكن لنا أن نجد علما يهتم بواقعنا العربي وبالمشكلات التى تعاني منها المجتمعات العربية .

أما عن مكانة علم الاجتماع في دول الوطن العربى فهو عبارة عن وجود أزمة ثقة بين السوسيولوجيا وبين تنظيمات مختلف من المؤسسات الرسمية بعكس ما يحصل في الدول الأوروبية المتقدمة صناعيا، فالواقع أن المؤسسات الرسمية في الوطن العربي مازالت تتجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير الإيجابي فيما يخص التحولات الجارية في المجتمع أن هناك محاولات للاستفادة فقد عقدت عدد من الندوات والمؤتمرات تحمل موضوعات ناقشت أزمة الثقافة وأزمة علم الاجتماع بوجه خاص ، وأزمة المجتمع وعلاقتها بهذا العلم واشكاليته، فمن هذه الندوات ليس على سبيل الحصر نذكر منها :

1-علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي (الكويت 1983) .
2-النهوض بعلم الاجتماع في الوطن العربي (الجزائر 1973) .
3-تطوير العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط (الكويت 1978) .
4-نحو علم اجتماع عربي (أبو ظبي 1983) .
5-إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي (القاهرة 1983).
6-نحو علم اجتماع عربي (تونس 1985) .

لقد تمخضت عن هذه الندوات واللقاءات العلمية اتفاقيات عدة بين الباحثين والمفكرين في بروز حاجة الوطن العربي الماسة إلى علم اجتماع نقدي، يكون قادر على أن يتجاوز مشكلة الأنظمة ويحللها ويفسرها في ضوء الواقع المعاش. وضرورة الدعوة إلى إنهاء حالة الاغتراب التي يعانيها العلم عن واقعنا المعاش ، والتخلص من مركب النقص والنظرة القاصرة اللذين نشعر بهما تجاه التراث العالمي للعلم ، والاهتمام بتطويع الأساليب المنهجية من خلال مرتكزات يمكن الاعتماد عليها في البحث بهدف التوصل إلى الأساليب الملائمة لبحث القضايا المجتمعية لواقعنا العربي الحديث ([1]) .

[1] ـ عبد القادر الاربي ، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، ترجمه محمد الجوهري ، العدد الخامس ، القاهرة : دار المعارف 1984 ص95

واقـــع السيسيولوجيا في لـــيبيـــا

بعد ما حاولنا تشخيص حالة وواقع السيسيولوجيا بالوطن العربي من خلال إعطاء لمحة عن جهود بعض المفكرين وما يواجه العلم من صعوبات ، نعرج وفي هذه الجزئية على احد الأهداف الرئيسة لهذه الورقة والى ما يعانيه هذا العلم واقعياً من الناحية الاكاديمية بالمجتمع الليبي بالرغم الجهود المبذولة من اجل رفعته خاصة على المستوى الأكاديمي واخص بالذكر الرعيل الاول لعلمائنا ومفكرينا الاجلى ومؤلفاتهم التى تزخر بها المكتبات العلمية بالجامعات الليبيه ،،،

ولمعرفة هذا الواقع كان لابد لنا من ان نتسأل حول إلي أي مدى ساهمت الدراسات السيسيولوجيا في ليبيا في تناول الإشكالات المجتمعية والتي يعاني منها المجتمع الليبي ؟؟ كيف يتم اختيار الموضوعات السيسيولوجية على المستوى البحث العلمي اكاديميا ؟؟ وهل هناك دليل واستراتيجية لاختيار هذه الموضوعات ؟؟ وهل تمتلك اقسام علم الاجتماع بالجامعات الليبية والمشتغلين بها شجاعة بحثيه في اعاده تعريف وصياغة علم الاجتماع ، وابتكار مفاهيم تتمشى مع بنية وثقافة هذا المجتمع وتساير الحراك المجتمعي ؟ ومن هم المشتعلين المتخصصين بهذا التخصص؟ وماهي المشاكل الى تعانيها اقسام علم الاجتماع بالجامعات الليبية ؟

في الحقيقة هناك الكثير من التساؤلات التي هي في جعبة الباحث والتي لم يجد لها الباحث اجابه شافية الا نقداً لما تمر به حالة السيسيولوجيا بهذا البلد ان صح التعبير وهذه الأسئلة فلا اخفيكم فهي كثيرة و كثيراً منها ما تجول في ذهن المشتغلين بهذا التخصص وتنفع كل واحده فيها ان تكون بحثا امبريقياً لوحدها .. فاذا بداءنا بالإجابة على **<u>التساؤل الاول</u>** نجد ان معظم البحوث والدراسات والتى تمت انها لم تبحث في اشكالات المجتمع والتي اهمها الحراك المجتمعي وما ترتب عليه من سلبيات او حتى إيجابيات ولم تشخص هذه الحالة لا من قريب ولا من بعيد خاصة في العقود الأخيرة من القرن الماضي وحتى السنوات الأخيرة لبداية هذا القرن والذي شهد فيها المجتمع حراك مجتمعي ليس باليسير فهمه الا المتخصص بهذا العلم ، أي لم تساهم السيسيولوجيا في وضع الحلول ولا حتى التشخيص فهي تكتفي فقط بالوصف والتحليل ثم التوصيات دون التطرق الى النتائج الحقيقية وتقديمها من بيدهم القرار التنموي والتغيير، وحتى

وان كانت فالنظام السائد مكمم الافواه قبل النتائج أي غياب اهم شيء وهو الهدف من البحث العلمي الا وهو الاستفادة والأهمية من البحث في جانبه التطبيقي ، فهذه البحوث اما ان تساير المنظومة السائدة والا نتائج بحثك مضروب بها عرض الحائط ولا تأخذ طريقها الى النور ليستفيد منها المجتمع في التخطيط الاستراتيجي مستقبله وحل مشاكله ..ان هذه البحوث في الواقع لم ترقى ايضا للمنهجيه التى تخدم النظرية بهذا العلم فهي بحوث امبريقيه موجه غالبا لا يكون للباحث رأي فيها . وحتى البيانات المعتمدة عليها ليست الا على المستوى الماكروا لهذا المجتمع دون ان تشخص الحالة تشخيصاً دقيقا بالرغم من استخدامها لا حدث التقنيات العلمية في التحليل.

اما الاجابة عن التساؤل الثاني .. فمن خلال الاطلاع على الكثير من العناوين والتي ظهرت بين ايدينا فهي لا يوجد فيها عنوان واحد يمثل تشخيص للحالة الليبية الراهنة او الماضية وما تمر به من احداث تغير في البناء الاجتماعي اللهم تكرار لما يبحث فيه ببقية المجتمعات العربية الاخرى حتى وان جاءت فهي لتفند او تختبر نظريه اتت اصولها وجذورها من الفكر الاجتماعي لسيسيولوجيا الغربية فلم تأتي بجديد على المستوى الفكري(النظري) للعلم وهذه معركة اخرى يحاول الباحث السيسيولوجي في ليبيا الانغماس فيها ووضع الحلول لها .. فالأقسام العلمية لعلم الاجتماع بكليات الجامعات الليبية عاجزة عن وضع عناوين نقديه للعلم يهتدي بها الدارس لهذا العلم ولو اخذنا مثالا للأكاديمية الليبية لدراسات العليا فالإحصائية التى تم الاطلاع عليها في احد الدراسات نجد من خلالها ان حوالي 104 عنوان لأطروحة الماجستير او الدكتوراه ما بين عامي 2005 و 2015 ا لا تبحث في التطور في الجانب الفكري لهذا العلم فهي اعلبها لم تأتي بجديد اللهم اجترار لما هو موجود .. وهذا بالطبع ومن وجهة نظرنا السيسيولجية فعلم الاجتماع مطالب في هذا البلد بإعادة فحص التراث السيسيولوجي المتراكم و اختبار ما طرح داخله من أفكار و تصورات و نظريات بهدف الوقوف على مدى انطباقها على واقعنا الاجتماعي أو مدى ما يمكن أن تقدمه من اسهام في فهم و تطوير هذا الواقع.."

أما عن التساؤل الثالث الذي طرحناها وهو كيف يتم اختيار الموضوعات السوسيولوجيه للبحث فيها ؟ ان الفاحص للموضوعات التى تم اختيارها في بحوثنا على المستوى الأكاديمي او حتى التى تمت بالدراسات العليا في أطروحات الماجستير والدكتوراه داخل وخارج المجتمع هي

في الواقع لم تكن من اختيار الباحثين سواء منهم المبتدئين او الذين لهم خبرة بهذا المجال فكثيرا منها تتم من خلال سمينارات الأقسام العلمية لهذا التخصص دون ان يترك للباحث حرية الاختيار في الموضوع الذي يريد ان يبحث فيه . .وحتى وان تم فهو سيكون ملزم الباحث فيها بتعديل عنوان بحثه وكثيراً ما يتم تغييره حتى بالكامل وهنا في راينا المتواضع يذهب باول خطوة من خطوات البحث العلمي كما تعلمناه ونعرفه في خطوة تحديد مشكله البحث ويذهب احد آسها الأول وهو أحساس الباحث بمشكلة بحثه .. فأعداد الباحث لابد من ان توفر فيه صفة المبادرة وتحمل مسؤولية اختياره لموضوع بحثه .. فلا بأس من توجيه الباحث الى الصواب و لكن ليس على حساب قتل روح المبادرة والاكتشاف فيه .

اما فيما يتعلق ببنيه هذه الاقسام فاذا اخذنا ما يدور على مستوى قبول طلاب العلم فان الامر يختلف فأن الطلب يكون اقل من العرض وهذه المعادلة لها اسسها فمن هو طالب علم الاجتماع ؟ وهل به المواصفات التى فعلا نحن بحاجه لها والقادرة على ان تشق طريقها في هذا المجال من العلوم فاغلب طلاب هذه الاقسام يأتوا إما منتقلين من أقسام أخرى او تأتي رغبتهم ما دون رغباتهم الاخرى الا ما ندر .. ومن هنا فمن هم الذين سيكنون مستقبل هذا العلم بهذا المجتمع والذين يعول عليهم المجتمع في تطويره وهنا يذكرني قول" جمال غريد نقلا عن " : "ريمون ارون "سنة 1934 م بان أشد ما يفتقر إليه علم الاجتماع الفرنسي هم علماء الاجتماع أنفسهم... أما ما نلاحظه اليوم على الساحة العربية فهو العكس تماما .فأشد ما نفتقر إليه – نحن كمختصين بهذا المجال هو علم الاجتماع في حد ذاته ([1]) .

ولو تمعنا في رؤية الأقسام فإنها تختلف من قسم الى الأخر سواء من حيث الاهداف او حتى المقرارات التى تعطى لطلاب فهي لا ترقى الى ما يعطى في الجامعات العربية او غربيه.

أما **<u>على مستوى المكتبة</u>** فلا توجد مكتبات متخصصه بالاقسام ناهيك على نوعية الكتب فاغلبها قديمة ورثة بمعلومات قديمة وحتى المترجمة منها فترجمتها رديئة ولا تخدم التخصص ، فأغلب المراجع المتوفرة بهذه الأقسام تعمل على استمرار التخلف المعرفي وتزييف الحقائق أغلبها فيها مسحة تجارية على حساب المعرفة الأكاديمية للتخصص ، إضافة إلى إشكالية اللغة التي لا

[1] ـ الشبكة الدوليه للمعلومات https://bu.univ-ouargla.dz/Djamila_chelghom.pdf?idthese=4004

يحسنها الطلاب في اقسام علم الاجتماع وبجميع الكليات الجامعية مما يعيق نماء وتقدم هذا العلم ، ومن المشكلات ايضاً التي تعاني منها هذه الأقسام بهذا المجتمع أن أغلبية الأساتذة هم حاملي شهادة الماجستير والتى تفتقر الى التخصص الدقيق والخبرة في التدريس ...فكثير من هؤلاء الأساتذة لا تتوفر فيهم مواصفات وشروط التدريس نظراً لعدم حصولهم على تكوين في هذا المجال ، وعليه فالشهادة لا تكفي ما لم تتوج بعد التوظيف بتكوين على المستوى الاكاديمي وكيفية التعامل مع بعض طرائق التدريس الجامعي. فعملية توظيف الأساتذة تفتقر إلى الشروط الموضوعية والمقاييس العلمية ..

اما عن نظرة المجتمع لعلم الاجتماع إن علم الاجتماع يتعرض لانتقاد من أغلبية أفراد المجتمع حتى ذوي المستوى العلمي منهم، إن سمعته تتميز بالدونية نتج ذلك عن عدم ظهوره بقوة في المؤسسات الاقتصادية والخدماتية وأنه علم قليل الصلة بالمجتمع والذي يصلح المتخصص فيه من السير الحسن لإدارة والمؤسسة . ويؤثر المجتمع على الطلبة الحائزين على شهادة البكالوريا بالتسجيل في اختيار التخصص الذي له أولوية في التوظيف والبحث عن التخصص المطلوب في سوق العمل ،وقد يحجم الطالب عن تخصص علم الاجتماع خوفا من نقد المجتمع له لسوء اختياره لهذا العلم والرغبة فيه.

ويبقى الأمل معقودا على الأجيال الجديدة التي تحمل التخصص بهذا العلم وتحمل هموم مجتمعاتها وأمتها، وهذا رهن الخروج من مرحلة ضياع أعداد كثيرة من الشباب العربي من التبعية الايديولوجية والثقافية للتنظيمات المتطرفة، وهو أيضا رهين القيام بإصلاحات فكرية وثقافية وتربوية في مختلف منظومات التنشئة . إن المراهنة على العلم وعلى الثقافة العلمية والوعي العقلاني ونشر قيم الحرية والتسامح هي الطريق إلى النهضة بما في ذلك النهضة السيسيولوجية.

استنتاجات وتوصيات

بناءاً على ما طرح بهذه الورقة والتى نلخصها في اعطاء ماهية هذا العلم والعوامل الى كانت وراء نشاءته ومدى مكانته بين العلوم الإنسانية كذلك مروراً بواقع السيسيولوجيا بالوطن العربي ثم اخيرا واقع السيسيولوجيا في ليبيا وما تعانيه هذه الأخيرة بالرغم تقديم الأخيرة بعنوان هذا البحث ، نرى لزاما علينا استخلاص مجموعه من الاستنتاجات وبعض التوصيات والتى آتت متداخلة فيما بينها اي من خلال قراءتنا لهذا الواقع الذي تعيشه السيسيولوجيا بهذا المجتمع عبر المسيرة العلمية لهذا العلم بالرغم الاحداث التي صنعته والتى جاءت كالتالي :

1) نرى من خلال ما طرح بهذه الورقة سعى علماء الاجتماع خاصة خلال السنوات الأخيرة الى القيام بالعديد من المحاولات الفكرية والتي ركزت في اساسها على نقد علم الاجتماع الغربي

بما يتضمنه من أفكار محافظة، وماركسية بمحتواه الراديكالي الثوري . كذلك ما نلاحظه ايضاً ان الكثير من الباحثين والمهتمين هو إغفالهم تقديم محاولات علمية نقدية جادة لواقع المجتمع العربي بكل تركيبته الثقافية وأبعاده التاريخيه وهذا يعطي انطباعا ان علماء العرب لم يكونوا جادين في وجود مقاربات ونظريات فكرية سوسيولوجيه تخدم مجتمعاتهم وتخدم هذا العلم من جهة اخرى .

2) كذلك نؤكد على ضرورة وجود علم اجتماع في الوطن العربي والمحلي ,يستفيد من سلبيات الماضي وتجارب الحاضر لكي يعمل في إطار إنقاذ مجتمعاتنا من التبعية الثقافيه والتخلف.

3) إعادة الاعتبار لعلم الاجتماع في الجامعات العربية والمحلية واعطائه الأهمية في تطبيق آلياته العملية والعلمية واعطاء الحرية لمشتغليه في مختلف المهن لأنهم يعتبرون اساس المشورة العلمية في حل الكثير من المشكلات المجتمعية وهذا يساعد في إنجاح المخططات التنموية.

4) ضرورة وجود نموذج إرشادي ملتزم بقضايا ومشكلات الوطن العربي يعكس خصوصية هذه المجتمعات الثقافية ، وبالتالي تكون له أهداف واستراتيجيات واضحة لمعالجتها وحلها في إطار تلك الخصوصية.

5) نحن في حاجة الى فروع جديدة يحتاجه المجتمع وسوق العمل الاجتماعي مثل اجتماع المستقبل واجتماع التنمية والتطوير وغيرها من الفروع التي ترسخ قيم العمل والضمير المهني .. وتطوير الموارد البشرية .

6) نرى ان سر تقدم المجتمعات هو تقدم علم السيسيولوجيا بها و ما تقدمه من مشورة علمية خاصة فيما يتعلق بنتائج وبتوصيات البحث العلمي ومقترحاته ..

7) واخيرا وعلى مستوى السيسيولوجيا بليبيا يجب النظر الى هذا العلم نظرة جديه وتوفير كل الامكانيات التى من شانها تدعم وجوده حتى يقدم المشتغلين به كل ما بوسعهم تقديمه لهذا المجتمع من حلول الى كثير من القضايا العالقة والتى هي في الواقع مسببه لتأخره عن موكب المجتمعات التي حولنا الى جانب تصحيح مساره ليخدم المجتمع وحل الكثير من قضاياه ..

الهـــوامش

1 . احسان محمد احسان واخرون ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار وائل لنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط الاولى 2005 .

2 . الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنت) https://bu.univ-ouargla.dz/Djamila_chelghom.pdf?idthese=4004

3 . حيدر ابراهيم علي ، علم اجتماع الصراع الأيديولوجي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 78 .
4 . عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع النشأة والتطور ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003م،
5. عبد القادر الاربي ، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، ترجمه محمد الجوهري ، العدد الخامس ، القاهرة : دار المعارف 1984م .
6 . محمد ابراهيم عبد المجيد ، علم الاجتماع النشأة والتطور ، المشكلات الاجتماعية ، مؤسسه رؤيه للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ط 1 2007م .
7 . محمد عبد الباسط حسن ، اتجاهات نظرية علم الاجتماع الكويت :عالم المعرفة 1983م .
8 . معن خليل العمر واخرون ، المدخل لعلم الاجتماع ، دار الشروق لنشر والتوزيع ، 2009م .